منهجية الحوار في القرآن الكريم*

إعداد

د. محمد عبد اللطيف رجب عبد العاطي**

ملخص البحث

الناظر في الحوارات التي تمت في العقود الأخيرة بين المسلمين وغيرهم يلاحظ أنها قد عانت لدى الطرف الإسلامي- ولا تزال – من نقص في المنهجية، كما افتقدت الإطار النظري الضابط الذي يسمح ببلورة خبرات الحوار وتطويره، واستخلاص دروسه.

وقد تضمن القرآن الكريم مشهداً متكاملاً حفل بألوان متعددة من الحوار في قضايا متنوعة، وبين جهات مختلفة؛ وهذا يعتبر إغناءً وإثراءً، وميادين تدريب، وأدلة عمل لكل من يريد فتح باب الحوار مع أي أحد، في أية قضية، في كل وقت.

ويمكن من خلال تحليلنا للمشاهد الحوارية التي حفلت بها آيات القرآن الكريم أن نقف على ملامح منهجيته في الحوار مع الآخر، تلك المنهجية التي تضمن تحقيق غايات وأهداف الحوار، بحيث لا نكون مثل من ينفخ في رماد، أو يصيح في واد عندما نقتحم هذا الميدان.

* أجيز للنشر ٢٠٠٧/٩/١٨.

** أستاذ مشارك – كلية القانون – جامعة الإمارات العربية المتحدة– قسم الدراسات الإسلامية.

وهذه الدراسة تعنى برسم ملامح هذه المنهجية التي تتجلي في عدة أمور، أولها: الاعتراف بالآخر وبأن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية، وثانيها: لا حدود للحوار، وثالثها: تحقق المعرفة بالآخر، ورابعها: اعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية – التي تتمثل في توافر الحرية الفكرية، والإحاطة بقضية الحوار، وتحديد الغاية وتوضيحها، والالتزام بقاعدة إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدّعياً فالدليل، وتجنب الوقوع في التناقض، وتحديد المصطلحات– وخامسها: التزام آداب الحوار – التي تتمثل في نبذ التعصب للأفكار المسبقة، وعفة اللسان، وتهيئة النفس لقبول نتائج الحوار، ورأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية–.

مُقَدِّمَة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنسانية الإنسان تفرض عليه أن يمتد ليعيش في الإنسان الآخر، بحيث يقترب عقله من عقله، وينفتح قلبه على قلبه، لأن الهدف من تنوع الخلق هو التعارف والتعايش الذي لا يمكن تحققه إلا بالتفاهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[(١)] ولهذا يصبح الحوار لازما من لوازم الحياة الإنسانية المستقرة، لأنه صيغة من صيغ التواصل والتفاهم، وأسلوب من أساليب العلم والمعرفة، ووسيلة من وسائل

(١) سورة الحجرات: ١٣.

الدعوة، اعتمده الأنبياء والرسل والمصلحون في إقناع الناس بالحق، ودعوتهم إلى الخير والرشاد.

وطبيعة العصر الحديث تؤكد أن الناس في حاجة ماسة إلى الحوار لتأسيس صيغة معرفية متجددة تعتمد تزاوج الأفكار، وتبادل الرؤى، من خلال الوقوف على الرأي الآخر، تحقيقاً للتواصل، وابتعاداً عن العزلة والانكفاء الذي لم يبق لهما مكان في عالم اليوم بفعل التطور الهائل في وسائل الاتصال، وتنامي حاجة الإنسان لأخيه الإنسان.

والناظر في الحوارات التي تمت في العقود الأخيرة بين المسلمين وغيرهم يلاحظ أنها قد عانت لدى الطرف الإسلامي- ولا تزال – من نقص في المنهجية، ومن غياب المراكمة المعرفية، كما افتقدت الإطار النظري الضابط الذي يسمح ببلورة خبرات الحوار وتطويره، واستخلاص دروسه.

وقد تضمن القرآن الكريم مشهداً متكاملاً حفل بألوان متعددة من الحوار في قضايا متنوعة، وبين جهات مختلفة؛ وهذا يعتبر إغناءً وإثراءً، وميادين تدريب، وأدلة عمل لكل من يريد فتح باب الحوار مع أي أحد، في أية قضية، في كل وقت.

ويمكن من خلال تحليلنا للمشاهد الحوارية التي حفلت بها آيات القرآن الكريم أن نقف على ملامح منهجيته في الحوار مع الآخر، تلك المنهجية التي تضمن تحقيق غايات وأهداف الحوار، بحيث لا نكون مثل من ينفخ في رماد أو يصيح في واد عندما نقتحم هذا الميدان.

وهذه الدراسة تعنى برسم ملامح هذه المنهجية من خلال المباحث الآتية:

- المبحث الأول: مصطلحات ودلالات، وأتعرض فيه لبيان مصطلح المنهجية، والقرآن، والحوار، ثم أبين المقصود بمنهجية الحوار.

- المبحث الثاني: ضرورة الحوار وجدواه في نظر المسلمين، وأبين فيه أن الحوار ضرورة إنسانية وفريضة دينية، وجدوى الحوار مع الآخر في نظر المسلمين.
- المبحث الثالث: منهجية الحوار في القرآن الكريم، وتتجلي ملامحها فيما يأتي:

١. الاعتراف بالآخر وبأن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية

٢. لا حدود للحوار

٣. تحقق المعرفة بالآخر

٤. اعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية، وتتمثل في توفر الحرية الفكرية، والإحاطة بقضية الحوار، وتحديد الغاية وتوضيحها، والالتزام بقاعدة إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدّعياً فالدليل، وتجنب الوقوع في التناقض، وتحديد المصطلحات.

٥. التزام آداب الحوار، وتتمثل في نبذ التعصب للأفكار المسبقة، وعفة اللسان، وتهيئة النفس لقبول نتائج الحوار، ورأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية.

- وأتبعت ذلك بخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث وتوصياته.

ولست أدعي فيما أوردته العصمة من القصور، أو البراءة من السهو، ولهذا أرغب إلى كل من أدرك خطأ أو زللا أن يصلحه، ليتخذ عندي يداً أكل جزاءه عليها إلى فضل الله عز وجل وسعة كرمه ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

---

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

المبحث الأول
مصطلحات ودلالات

أولا: المنهجية:

المنهجية نسبة إلى المنهج، وكلمة منهج يراد بها الطريق الواضح في التعبير عن شيء، أو في عمل شيء، أو في تعليم شيء ، طبقا لمبادئ معينة، وبنظام معين، وبغية الوصول إلى غاية معينة، ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوهما. والمنهاج: الخطة المرسومة [٣].

أما المنهج العلمي فيقصد به "الخطة المنظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة، أو البرهنة عليها [٤].

والتعريفات الكثيرة للمنهج تتفق غالبا في مضمون ما تشير إليه، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

- المنهج: البحث أو النظر أو المعرفة، أو الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب، أو هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها حين نكون بها عارفين[٥].
- المنهج: الطريق الواضح في أمر ما من علم أو عمل، لكنه في المجال العلمي عبارة عن خطوات منظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها بهدف الوصول إلى نتيجة معينة[٦].

---

(٣) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة ن هـ ج، ويوسف كرم، وآخران، المعجم الفلسفي ص١٧٠.
(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي ص١٩٥.
(٥) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ص٣-٤.
(٦) عبد اللطيف العبد، التفكير المنطقي ص١٢٨.

ثانيا: القرآن:

العلماء مختلفون في الوجه اللغوي لتسمية القرآن قرآنا، فبعضهم يرى أنه اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله، فهو غير مهموز، وبه قرأ ابن كثير، وهو مروي عن الشافعي[٧].

وبعضهم يرى أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به لاقتران السور والآيات والحروف فيه، أو من القرائن لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا، وهي قرائن، وعلى القولين هو بلا همز أيضا ونونه أصلية، واختلف القائلون بأنه مهموز، فقال بعضهم: هو مصدر لقرأت كالرجحان والغفران، سمي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر، وقال آخرون: هو وصف على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع، قال أبو عبيدة، وسمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض، أو لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة، وقيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها، واختار السيوطي ما نص عليه الشافعي[٨].

لكني أميل إلى ما اختاره الألوسي والزرقاني من أنه مصدر مشتق مهموز من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا، لأن القراء السبعة غير ابن كثير على همزه، وقد وجهت قراءة ابن كثير بأن ترك الهمزة فيها من باب التخفيف، ونقل حركتها إلى ما قبلها، وهذا لا ينفي صحة المعاني الأخرى، ومنها ما اختاره السيوطي[٩].

والتعريف الحقيقي للقرآن الكريم هو استحضاره معهودا في الذهن أو مشاهدا بالحس، كأن تشير إليه مكتوبا في المصحف أو مقروءا باللسان فتقول: هو ما بين هاتين

(٧) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٤٤.
(٨) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٤٤– ١٤٥.
(٩) انظر: الألوسي، روح المعاني ١/ ٨، والزرقاني، مناهل العرفان ١/ ١١.

الدفتين، أو تقول: هو ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم. الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١٠] إلى قوله تعالى: ﴿ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾[١١].

وإنما قلت: إن هذا هو التعريف الحقيقي؛ لأنه يعني أن تصورنا لأية قضية لن يكتمل إلا إذا تتبعنا مختلف جوانبها في القرآن كله من أوله إلى آخره، لأنه دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه منزله كل تشريع، وأودعه كل نهضة، وهو ملاذ الدين الأعلى، يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وأحكامه وآدابه وأخلاقه وعلومه ومعارفه، وهو أولا وآخراً القوة المحولة التي غيرت صورة العالم، وحولت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاثرة فكأنما خلقت الوجود خلقا جديدا[١٢].

ثالثا: الحوار:

الحِوَار في اللغة: مشتق من الحَوْر، وهو الرجوع إلى الشيء وعن الشيء، قال ابن عباس: ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها: حورى، أي ارجعي[١٣]. وفي القرآن الكريم: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾[١٤] أي لن يرجع إلى الله تعالى مبعوثا محشورا[١٥].

قال لبيد: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه   يحور رمادا بعد إذ هو ساطع [١٦]

والحوار: مراجعة الكلام، والمحاورة: المجاوبة، والمرادة في الكلام، وأحار الرجل الجواب أي ردَّه، وما أحاره أي ما ردَّه، وحار الماء في الغدير: تردد فيه ، وحار في أمره، تحير، والقوم في حوار: في تردد إلى نقصان، والمتحاورون قد يرجع أحدهم إلى

(١٠) سورة الفاتحة: ١-٢.
(١١) سورة الناس: ٦، وانظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ص ١٧.
(١٢) انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٨.
(١٣) انظر: الزمخشري، الكشاف ٤/٧٢٨.
(١٤) سورة الانشقاق: ١٤.
(١٥) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز ٥/٤٥٨.
(١٦) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ح و ر.

رأي صاحبه أو قولـــه أو فكره، رغبة في الوصول إلى الصواب، أو للاستفسار، أو الرد والتفنيد[١٧].

الحوار اصطلاحاً: مراجعة الكلام والحديث بين طرفين أو أكثر، دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على الخصومة، بهدف الانتقال من تصور إلى تصور، ومن قول إلى قول، وصولا إلى التصورات الشاملة والمبادئ العليا[١٨].

أما الجدل فيعني الخصومة والمنازعة لإلزام الخصم بإفساد ما ذهب إليه، وإثبات دعوى المتكلم، ومنه ما هو حسن ومنه ما هو قبيح.

قال النووي: الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل، وأصله الخصومة الشديدة، ويسمى جدلا؛ لأن كل واحد يحكم خصومته وحجته إحكاما بليغا على قدر طاقته، تشبها بجدل الحبل وهو إحكام فتله[١٩].

وعلى هذا فكلمة الحوار أوسع مدلولا من الجدال الذي يفيد معنى الصراع[٢٠] بينما تتسع كلمة الحوار للصراع ولغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة، فحيثما وجد الجدال وجد الحوار، وليس كلما وجد الحوار وجد الجدال، لأن الجدال ومعه المحاجة يعطيان الحوار قوة العناد للفكرة والإصرار عليها.

ومن هنا قال الراغب: " الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل، أي أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل:

---

(١٧) انظر: المصدر السابق، والراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، نفس المادة.
(١٨) انظر: الدكتور عبد المجيد عمراني، مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة ص ٣١.
(١٩) انظر: النووي، تهذيب الأسماء ٤٥/٣ بتصرف.
(٢٠) الجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالا. ورجل جدل ومجْــدل ومجــدال: شديد الجدل. ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته. ورجل جدل إذا كان أقوى فــي الخــصام. وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالا، والاسم الجدلي، وهو شدة الخصومة..والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ج د ل.

الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة"[21].

وقد وردت مادة الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، اثنان منها في معرض الحديث عن قصة صاحب الجنتين وحواره مع صاحبه الفقير، والثالث في قصة المرأة التي أتت إلى النبي ﷺ شاكية زوجها الذي ظاهر منها، والمواضع التي وردت فيها هذه المادة على النحو الآتي:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾[22].

قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[23].

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[24].

وبالإضافة إلى ذلك تضمنت عشرات المواضع في القرآن الكريم نماذج لحوارات كثيرة في قضايا مختلفة بين أطراف متعددة بغية تحقيق مقاصد وأهداف متنوعة.

وهذا يؤكد أن الحوار في المنظور القرآني هو الأصل الذي يجب أن يتخلل كل العلاقات؛ لأن القرآن الكريم يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق، ويجعل من ذلك الحوار بديلا للمقارعة بالحديد والنار، تلك المقارعة التي تسحق فيها الطاقات، وتهدر الإمكانات[25].

---

(٢١) انظر: الراغب،معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة ج د ل.
(٢٢) سورة الكهف: ٣٤.
(٢٣) سورة الكهف: ٣٧.
(٢٤) سورة المجادلة: ١.
(٢٥) انظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن ص ٣١.

ويمكن من خلال ما سبق أن نعرف منهجية الحوار بأنها منظومة الأطر والضوابط والإجراءات التي تحكم الحوار في كل مراحله، بدءا من الاستعداد له، ومرورا بممارسته، وانتهاء بتحقيق أهدافه.

المبحث الثاني
ضرورة الحوار وجدواه في نظر المسلمتن

الحوار ضرورة إنسانية وفريضة دينية:

الحوار ضرورة إنسانية لأنه صيغة من صيغ التواصل والتفاهم، وأسلوب من أساليب العلم والمعرفة، ووسـيلة من وسـائل التبليغ والدعوة، وهو الشكل الفلسفي الممتاز، إذ أكثر ما تكون الأفكار فلسفية عندما يستطيع من يفكر فيها من الداخل أن يبحث عن وجهها الخارجي، والحوار هو الذي يساعد على ذلك[٢٦].

وطبيعة العصر الحديث تؤكد أن الناس في حاجة ماسة إلى الحوار لتأسيس صيغة معرفية متجددة تعتمد تزاوج الأفكار، وتبادل الرؤى، من خلال الوقوف على الرأي الآخر، تحقيقاً للتواصل، وابتعاداً عن العزلة والانكفاء اللذين لم يبق لهما مكان في عالم اليوم بفعل التطور الهائل في وسائل الاتصال، وتنامي حاجة الإنسان لأخيه الإنسان.

وهو أيضا أفضل وسيلة للتصدي لمواجهة العولمة الرامية لإحلال ثقافة واحدة على حساب مختلف الثقافات القديمة والحديثة.

وإذا كان الحوار ضرورة إنسانية أملتها أحوال الحياة المعاصرة ومقتضياتها، فإنه في الإسلام واجب شرعي وتكليف ديني تتحقق من ورائه غايات نبيلة من أهمها ما يأتي:

(٢٦) انظر: الدكتور عبد المجيد عمراني، مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة ص ٣١.

١- إقامةُ الحجة، ودفعُ الفاسد من القول والرأي، فهو تعاون بين أطرافه على معرفة الحقيقة والتَّوصُّل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، ويسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

ولهذا قال الإمام القرطبي: " لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل"(٢٧).

وفي تصوري أن الهدف المرحلي للحوار يجب ألا يتجاوز إعادة الاعتبار للقيم الإيمانية وجعل هذه القيم قوة فاعلة ومؤثرة في الواقع الإنساني، بحيث تصير الحضارة الحديثة ذات ضمير أخلاقي يمكنها من إعادة بنية القيم الفاضلة في النفس الإنسانية.

وهذا يستلزم أن يكون الدين في نطاق الأصول الإيمانية المشتركة منطلقا للحوار لا موضوعا له، بحيث نبحث عن المساحات المشتركة في قضايا الإنسان ونستغلها في تحقيق هذا الهدف المرحلي، وعندما يتحقق هذا الهدف سنتمكن من البدء في تحقيق الغاية العظمى وهي الوصول إلى الحق في الجانب الديني.

٢-تنويع الرُّؤى، وتوسيع الأفق لتعزيز مفهوم التسامح، واحترام التنوع، والتعاون، وزيادة تبادل المعرفة حول مختلف مجالات الأنشطة البشرية، لأننا نعيش في عالم واحد لكنه يشتمل على عشرة آلاف ثقافة أو تزيد.

وهذا يستلزم إقامة حوار بين هذه الثقافات يكون قادرا على رسم مستقبل تخرج فيه البشرية من عنف الهيمنة إلى عنفوان التعايش السلمي الذي بدونه تدق ساعة أفول الحضارات الإنسانية المتعددة(٢٨).

---

(٢٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٨٦.
(٢٨) انظر: عمار جيدل، حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني ص ٣٣، ٤٨.

جدوى الحوار مع الآخر في نظر المسلمين:

المسلمون على مدى تاريخهم كانوا دعاة حوار[٢٩] يحرصون على التعايش مع أصحاب الحضارات والثقافات المختلفة في إخوة إنسانية بعيدة عن روح التعصب أو فرض الهيمنة، بل إنهم أفادوا من حضارات العالم وثقافاته في جميع المجالات، طالما لم تشكل هذه الاستفادة خروجاً عن مبادئ الإسلام وقيمه، وثوابت أمته الأساسية، أو اختراقا لها[٣٠].

وقد انطلقوا في ذلك من ثابتين قرآنيين، ومن ثابت تاريخي:

فالثابت القرآني الأول: أن الله عز وجل خلق الناس شعوبا وقبائل بهدف التعارف لا التناكر، قال تعالى: ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٣١].

والثابت القرآني الثاني: أن التواصل والود هو أصل العلاقة بين المسلم والآخر، قال تعالى: ﴿ لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ

(٢٩) وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الثالثة والخمسين على اختيار عام ٢٠٠١ م سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات بناء على اقتراح الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي في خطابه الذي ألقاه بالجمعية العامة للأمم المتحدة في أغسطس ١٩٩٨م.
واختيار عام ٢٠٠١ تحديدا كان بقصد أن يستقبل العالم الألفية الثالثة بتفاؤل كبير في إقرار السلم والأمن الدولي بعد أن كان القرن العشرون قرن الحروب العالمية التي حصدت الملايين من الأرواح، وأهدرت كما هائلا من الثروات.

(٣٠) لم يقف المسلمون عند حد الإفادة من تراث الآخرين، ولكنهم أفادوا الآخرين بالتراث الإسلامي وبتراث الحضارات الأخرى، ويمكن القول أنه لولا الجهد الإسلامي في ترجمة تراث الحضارة اليونانية وتطويره من خلال فلاسفة المسلمين أمثال الفارابي، وابن سينا، والكندي، ونقله إلى أوروبا الحديثة لضاع هذا التراث الحضاري اليوناني.

(٣١) سورة الحجرات: ١٣.

هُمُ الظَّــالِمُونَ﴾[٣٢]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٣٣].

وأما الثابت التاريخي فيتجلى في اللقاء الإسلامي المسيحي الذي دام أكثر من سبعة قرون على أرض أوروبا نفسها، وترك أبعادا هائلة على تطور الحالة الثقافية الأوروبية، لأن الإسلام استطاع أن يحول فكره إلى أفق كوني مكنه من توصيل معارفه وعلومه وتجاربه إلى الأوربيين.

ومثلت الأندلس وصقلية قاعدة انطلاق كبرى لعمليات الاقتباس التي قام بها الأوربيون من الثقافة العربية الإسلامية، ولا شك أن هذا الاقتباس قد اتخذ صيغا من الحوار بين علماء الجانبين، وهو حوار استعان فيه الجانب المسلم بكل أسلحته الفكرية، وعلى رأسها معرفة لغة الآخر، والتعمق في دراسته.

وعلى الرغم من ذلك فالمسلمون في الوقت الراهن لهم مخاوفهم من الحوار مع الآخر – خصوصا الغرب – ويمكن أن نرصد ثلاثة اتجاهات في الوسط الإسلامي حول جدوى الحوار:

الاتجاه الأول: يعتبر الحوار مع الآخر غير ذي جدوى؛ لأن انعدام توازن القوى يفضي إلى وضع يملي فيه أحد الأطراف ما يريد، بدليل أن الغرب هو الذي يضع أجندة الحوار، ويحدد قضاياه التي تستهدف صياغة المجتمعات الإسلامية على النحو الذي يخدم مصالحه.

ولايمكن أن تحظى دعاوى الحوار التي تأتي من الغرب بالقبول في ظل السياسات الغربية التي تدعم كل مظاهر البغي على الشعوب الإسلامية، ومنها الشعب الفلسطيني

(٣٢) سورة الممتحنة: ٨ – ٩.
(٣٣) سورة الأنفال: ٦١.

الذي يرزح تحت نير احتلال بغيض يحظى بدعم غربي غير محدود على مر العقود الماضية.

كما أن وثائق الحوار بين الأديان في العقود الأخيرة تؤكد أن الفاتيكان كان يتخذ من هذه الحوارات وسيلة مخفية للتبشير.

فقد أوضح الدكتور هالكروتز – وهو عالم لاهوتي نرويجي – في إحدى دراساته أن الحوار هو التطوير الثاني لحركة التبشير المسيحي(٣٤).

ومن هنا رفض الدكتور محمد البهي وعدد من العلماء دعوة وجهتها جمعية أصدقاء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة لحضور مؤتمر عنوانه " النواحي الروحية والقيم المثلى التي وردت في تعاليم الدينين لتبيان عقم الفلسفة المادية الفانية " وذلك في نيسان ١٩٥٤م وسبب الرفض هو الماضي التبشيري لأحد منظمي المؤتمر وهو القس كرلاند إيفانز هوبكنز(٣٥).

الاتجاه الثاني: يؤيد الحوار ويؤمن بجدواه، وينطلق من أن على الجميع أن يبحثوا عن أرضية مشتركة تغذي الحوار وتساعد على ازدهاره ونجاحه، وعليهم أن يبتكروا أساليب غير تقليدية تتيح التواصل مع كافة شرائح الآخر دون النظر في خلفيات دعواته للحوار.

الاتجاه الثالث: يؤيد الحوار ويؤمن بجدواه، لكنه يوجب انطلاقه من ثوابت الأمة، ومن قضاياها، ويرفض أن يكون موقفا دفاعيا في مواجهة اتهامات الغرب أو سياساته الصراعية.

---

(٣٤) انظر: الدكتور أحمد العسال، مجلة الرسالة التي تصدر عن مركز الإعلام العربي، العدد الأول ديسمبر ٢٠٠١ م، مقال بعنوان رؤية إسلامية لحوار الحضارات ص ١٥ – ١٦.

(٣٥) انظر: الدكتور سعيد المولى، الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة ص ١٣٤– ١٣٥.

فالمسلمون لدى هذا الاتجاه مطالبون بالحوار؛ لأنه جهاد العصر وليس اعتذار العصر، ومن هنا يجب أن ننطلق في الحوار من أسسنا الإسلامية، وألا نقبل بأي دعوة إلا إذا عرفنا خلفياتها، وتتبعنا أهدافها، واستشرفنا نتائجها، وحددنا الرسالة التي ينبغي أن نوصلها.

فالاتجاه السابق لا يهتم بالنظر في خلفيات دعوات الآخر للحوار، وهذا الاتجاه يهتم بمعرفة خلفيات هذه الدعوات وتتبع أهدافها.

وأنا أكثر ميلا إلى هذا الاتجاه مني إلى الاتجاه السابق، بحيث تكون حركتنا في أي زمان وكل مكان محكومة بالوعي، ومحاطة بإطار من الرشد.

لكن الناظر في الحوارات التي تمت في العقود الأخيرة بين المسلمين وغيرهم خصوصا النصارى يلاحظ أمرين في غاية الوضوح:

الأول: أن هذه الحوارات قد عانت لدى الطرف الإسلامي ولا تزال من نقص في المنهجية والتصويب، ومن غياب المراكمة المعرفية والجهد التوثيقي والتبويب، كما افتقدت الإطار النظري الضابط الذي يسمح ببلورة خبرات الحوار وتطويره، وبتجديد أسئلته وإشكالياته وإغنائها، واستخلاص دروسه، وصولا إلى صوغ برنامج لمواجهة تحديات عالم اليوم(٣٦).

الثاني: مدى رغبة الطرف الغربي في فرض هيمنته على الثقافات والحضارات الأخرى، وفي مقدمتها حضارة الإسلام وثقافته، وهو أمر واقع له آثاره الملموسة، وحقيقة ظاهرة لا سبيل لإنكارها أو تجاوزها.

فقادة الكنيسة الكاثوليكية رفعوا شعار" إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠ " ثم زحزحوا هذا الشعار إلى سنة ٢٠٢٥، وهم لا يستحون من الحديث عن التحدي الإسلامي،

(٣٦) انظر: المصدر السابق ص ٢٥.

فمسؤول المجلس الفاتيكاني للثقافة الكاردينال بول بوبار يقول في حديثه لصحيفة الفيجارو الفرنسية: " إن الإسلام يشكل تحديا بالنسبة لأوروبا وللغرب عموما"[٣٧].

وبروتوكولات مؤتمر كلورادو الذي عقد في الولايات المتحدة الأمريكية في مايو سنة ١٩٧٨م تؤكد ذلك، فقد جاء فيها "إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا، ونحن بحاجة إلى مئات المراكز للتركيز على الإسلام لفهمه، ولاختراقه في صدق ودهاء"[٣٨].

وقد ازدادت هذه الرغبة مع ظهور نظرية " صدام الحضارات" التي يرى صاحبها[٣٩] أن ثقافة الإسلام وحضارته هي مصدر الخطر الأعظم وعامل التهديد الأول لثقافة الغرب وحضارته، وبالتالي فالعلاقة بين الحضارتين لا يمكن إلا أن تكون غير الصراع والصدام.

وقد نالت هذه النظرية شهرة مدوية، حتى قيل إنها أصبحت الخطة الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا في التعامل مع العالم الإسلامي، وأصبح الحوار عند النخبة المؤثرة في القرار الغربي وسيلة من وسائل إدارة هذا الصراع[٤٠].

---

(٣٧) انظر: صحيفة الشرق الأوسط، لندن بتاريخ ١/١٠/١٩٩٩م.

(٣٨) انظر: الدكتور محمد عمارة، مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ص ٤١ – ٤٢.

(٣٩) هنتنغتون أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد

(٤٠) انظر: الدكتور أحمد فؤاد باشا، في التنوير العلمي ص ٤٤ – ٤٥.

لا أوافق الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي في قوله : " لا أريد القول بأن هنتنغتون قد تناول موضوع صراع الحضارات في ضوء تخطيط مسبق، غير أن في وسعي القول بأنه نجح من خلال ذلك – بوصفه صحفيا لا فيلسوفا – في التعبير عن العقلية التي تهيمن على مراكز السلطة في الغرب " محمد خاتمي، حوار الحضارات ص ١١٦.

وأرى أن الرجل قد تناول موضوع صراع الحضارات في ضوء تخطيط مسبق، بهدف تهيئة الرأي العام الغربي لدفع الثمن الباهظ الذي سيترتب على وضع هذا المخطط في حيز التنفيذ، فقد نشر الرجل مقالته (صراع الحضارات) في مجلة الشؤون الخارجية في عددها المؤرخ بصيف ١٩٩٣ وهي مجلة معروفة بقربها من مراكز صنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو متخصص في الإدارة العامة، ومدير لمعهد جون أوليت للدراسات الإستراتيجية بجامعة هارفارد، فإذا أضفنا لهذه الحيثيات توقيت الإعلان عن هذه النظرية واحتفاء الإعلام الغربي بها، وما تبعها من سياسات تأكد لدينا أنه قد تناول هذا الموضوع في ضوء تخطيط مسبق.

وأهدافهم من الدعوة إليه مع المسلمين تتمثل في اتخاذه وسيلة للتنصير، وتشويه بعض الفرائض والأحكام الإسلامية، ومنها الجهاد والحدود وتشريع الجزية، وامتصاص غضب المسلمين من الظلم الواقع عليهم، وتحصيل مكاسب للأقليات المسيحية في البلدان الإسلامية.

وأهم شيء أن يكسب اليهود والنصارى من وراء هذا الحوار اعترافاً من المسلمين بسماوية دينهم، وهذا له شأن كبير في صد النصارى واليهود عن الدخول في الإسلام.

ولهذا يتم تحديد موضوعات الحوار حسب أجندة الغرب السياسية والفكرية، وهذا ما لاحظه الكاتب فهمي هويدي من خلال مشاركته في أربعة مؤتمرات إسلامية كانت محاورها تدور حول سماحة الإسلام، وتجديد الخطاب الديني، وموقف الإسلام من التطرف، وقد استغرب الدعوة بسماحة الإسلام في ظل الظروف التي يتعرض فيها المسلمون للعدوان والسحق والإذلال، الأمر الذي يثير التساؤل عن الطرف المطالب بالتسامح المجني عليهم أم الجناة![٤١].

المبحث الثالث
منهجية الحوار في القرآن الكريم

يمكن من خلال تحليلنا لمشاهد الحوار التي حفلت بها آيات القرآن الكريم أن نقف على ملامح منهجيته في الحوار مع الآخر، تلك المنهجية التي تضمن تحقيق الغايات والأهداف المرجوة، بحيث لا نكون مثل من ينفخ في رماد أو يصيح في واد.

وهذه الملامح تتجلى إجمالا فيما يأتي:

أولاً: الاعتراف بالآخر وبأن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية.

ثانياً: لا حدود للحوار مع الآخر.

(٤١) انظر: فهمي هويدي، الممانعة أو الطوفان، جريدة الأهرام ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤.

ثالثاً: تحقق المعرفة بالآخر.

رابعاً: اعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية.

خامساً: التزام آداب الحوار.

وتفصيل هذه الملامح على النحو الآتي:

أولاً: الاعتراف بالآخر وبأن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية:

الاعتراف بالآخر حق مكفول له باعتبار الوجود، وهو في الوقت نفسه يتيح فرصة اكتشاف إيجابياته والوقوف على سلبياته، ويفرض عليه أن يعترف بوجودنا، ويساعدنا على اكتشاف إيجابياتنا لتنميتها والوقوف علي سلبياتنا لعلاجها.

وبهذا المعنى يكون الحوار اكتشافا للآخر داخل الذات، واكتشافا للذات في نظر الآخر، أي التعرف على الأنا الموضوعية التي يراها الآخرون، مقابل الأنا الذاتية التي نراها نحن(٤٢).

وكل ألوان الحوار في الوحي العزيز تمثل مظهرا من مظاهر الاعتراف بالآخر، ومن أروع النصوص الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ ياأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٤٣).

---

(٤٢) انظر: الدكتور عمار جيدل، حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني ص ٣٧.

(٤٣) سورة آل عمران: ٦٤.
أخذ الدكتور يوسف القرضاوي على أحد المتحدثين في مؤتمر إسلامي كبير ما دعا فيه إلى التعصب لا التسامح، والانغلاق لا الانفتاح، بدعوى أنه لا يوجد دين غير الإسلام، استنادا إلى قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]
وبالتالي لا يَوجد أي مَجال للحوار بيننا وبين الآخرين، ودعوتهم إلى الإسلام هي الجسر الذي يمكن أن يمتد بيننا وبينهم.
وهذا الكلام ليس صحيحاً، فكيف يقال: لا يوجد دين آخر غير الإسلام والله عز وجل يقول للوثنيين: ﴿لكمْ دينكمْ ولِي دين ﴾ [سورة الكافرون: ٦]
ويخاطَب سبحانه أهل الكتاب فيقول: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [سورة النساء: ١٧١] إلى آخر ما جاء من نصوص قرآنية في هذا الشأن.

والرسول ﷺ اعترف بالآخر؛ وكاتبه وراسله، وطلب من أصحابه رضي الله عنهم أن يتعلموا لغته، وكان ينتقي السفارات المؤهلة للقيام بمهمة التواصل معه، بل لقد توصل بالتفاوض والحوار إلى معاهدات، منها المعاهدة التي أبرمت مع يهود المدينة بطوائفهم جميعاً عند مقدمه ﷺ إليها، ومعاهدة الحديبية التي أبرمها مع مشركي قريش في العام السادس للهجرة.

ومثل هذه المعاهدات تحمل في طيها اعترافا بالآخر، وعدم إلغائه ونفيه وإقصائه أيا كان الدين الذي يدين به، أو المذهب الذي يعتنقه.

ومما يدخل في هذه المعاهدات ويمثل اعترافا من المسلمين بالآخر عقد الذمة، وهو العقد الدائم الذي يتم بين السلطة الحاكمة وغير المسلمين، ويرتب حقوقا لكل منهما على الآخر.

وعقد الذمة منصوص عليه في قول الله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٤٤].

والذمة معناها العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة[٤٥] ويطلق على من يعقد معهم عقد الذمة من غير المسلمين أهل الذمة أو الذميون، لأن لهم بموجب هذا العقد عهداً بأن يعيشوا في حماية الإسلام وفي كنف المسلمين آمنين مطمئنين، وهم يدفعون الجزية مقابل هذه الحماية[٤٦].

ثم كيف ينكر الحوار ونحن مأمورون به شرعا في قوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]. انظر: الدكتور يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ص ١٢١.

(٤٤) سورة التوبة: ٢٩.

(٤٥) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة ذ م م.

(٤٦) كفل الإسلام لأهل الذمة بموجب هذا العقد حقوقا تتمثل في حماية الدماء والأموال والأعراض والكرامة من أي عدوان داخلي أو خارجي، كما كفل لهم كامل الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية وشؤونهم المعيشية، وحقهم في تولي الوظائف والمناصب العامة إلا ما غلب عليه الوصف الديني كالإمامة والقيادة

جاء في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أهل بيت المقدس:" هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم"[٤٧].

فإن اشتركوا في الدفاع عن الدولة سقطت عنهم طالما كانوا يشاركون مثل المسلمين بجزء من مالهم في صورة ضريبة أو غيرها لإقامة المرافق العامة التي يتمتع الجميع بأثرها الخدمي.

وفي هذا السياق نفهم سبب عدم مطالبة المسكين الذي يتصدق عليه بالجزية، وكذلك المرأة والصبي والشيخ الفاني والمجنون والمعتوه، وكل من لم يكن أهلا للقتال، أو كان أهلا له ولكنه لا يستطيع لفقره أن يدفع ما عليه[٤٨].

كما نفهم سر ترفق المسلمين بأهل الذمة وتخفيفهم عنهم في تحصيل الجزية حتى إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يوصي عماله بعدم تحميل أهل الذمة مالا يطيقون من الجزية[٤٩].

ولما رأى شيخا ضريرا يسأل على باب، سأل عنه، فعلم أنه يهودي، فقال له: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى خازن بيت المال: انظر هذا وضرباءه، فو الله ما

العامة والقضاء وغير ذلك من الوظائف التي لها صبغة دينية، كما كفل لهم الحق في أن تكفلهم الدولة الإسلامية عند العجز والمرض والفقر والشيخوخة، والحق في مقاضاة المسلم أيا كان وضعه في الدولة.

(٤٧) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٤٨٨.

(٤٨) انظر: أبو يوسف، الخراج ص ٢٥٣ – ٢٥٤.

(٤٩) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال ص ٥٠ – ٥٢.

أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾[٥٠] وهذا من مساكين أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[٥١].

وقد اقتدى به حفيده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فكتب إلى واليه على البصرة: "وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه "[٥٢].

وقبل ذلك كتب خالد بن الوليد لأهل الحيرة بالعراق وكانوا نصارى: " وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله "[٥٣].

"هذا ما كتبه خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر، وأقره عليه من كان معه من الصحابة المجاهدين، وكذلك أقره الخليفة الأول أبو بكر الصديق ومن معه من كبار الصحابة، ولم ينقل إنكار أحد منهم لما صنعه خالد في ذلك، ومثل هذا العمل الذي يفعله صحابي، وينتشر في الصحابة، ولا ينكره أحد منهم يعده كثير من الفقهاء إجماعا"[٥٤].

وتكميماً لأفواه المتقولين على تشريع الجزية ننقل ما قاله المستشرق توماس آرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام عن هذا التشريع الحكيم وكيفية تطبيق المسلمين له في عصورهم الزاهية.

قال الرجل: " ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين كما يريدنا بعض الباحثين على الظن لونا من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة، وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول

---

(٥٠) سورة التوبة : ٦٠.
(٥١) انظر: أبو يوسف، الخراج ص ٢٥٩ – ٢٦٠.
(٥٢) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال ص ٥٧.
(٥٣) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٣٨٠ – ٣٨١.
(٥٤) يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ص ١٠٣.

دياناتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين..... ويكمن اعتراف المسلمين الصريح بهذا الشرط في تلك الحادثة التي وقعت في حكم الخليفة عمر لما حشد الإمبراطور هرقل جيشا ضخما لصد قوات المسلمين، كان لزاما على المسلمين نتيجة لما حدث أن يركزوا كل نشاطهم في المعركة التي أحدقت بهم، فلما علم بذلك أبو عبيدة قائد العرب كتب إلى عمال المدن المفتوحة في الشام يأمرهم بأن يردوا ما جبي من الجزية من هذه المدن، وكتب إلى الناس يقول: إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم. وبذلك ردت مبالغ طائلة من أموال الدولة، فدعا المسيحيون بالبركة لرؤساء المسلمين، وقالوا: ردكم الله علينا، ونصركم عليهم – أي على الروم – فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا، وأخذوا كل شيء بقي لنا"[٥٥].

وفي ضوء ما سبق يظهر أن تشريع الجزية لا يقصد به أبدا إهانة غير المسلمين أو النيل من كرامتهم بسبب امتناعهم عن قبول الإسلام، وقوله تعالى ﴿عَنْ يَدٍ﴾ في ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٥٦] معناه: عن قدرة وسعة، والصغار في ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ يقصد به خضوعهم لأحكام الإسلام، وقبولهم العيش تحت سلطان المسلمين وحمايتهم ويمكن أن يكون الصغار مرتبا على محاربة المحاربين منهم، وليس مرتبا على بقائهم على دينهم[٥٧].

(٥٥) توماس آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٧٩.
(٥٦) سورة التوبة : ٢٩.
(٥٧) انظر: محمد رشيد، تفسير المنار ٢٨٩/١٠ – ٢٩٠، وسالم البهنساوي، الشريعة المفترى عليها ص ٢١١.

وبهذا يظهر بطلان سائر التزيدات المبتدعة في طريقة تحصيل الجزية ومعاملة أهلها، وهي التزيدات التي تتضمن إهانتهم والنيل من كرامتهم.

وقد نقل ابن قدامة المقدسي بعض هذه التزيدات في موسوعته الفقهية ثم أوضح أن عمل الصحابة والخلفاء الراشدين كان على خلاف ذلك، حيث كانوا يتواصون باستحصال هذا الحق من أهل الذمة بالرفق واللطف(٥٨).

كما عقد أبو عبيد في كتابه الأموال بابا بعنوان: " اجتباء الجزية والخراج وما يؤمر به من الرفق بأهلها، وينهى عنه من العنف عليهم فيها"(٥٩).

بل إن عمر بن الخطاب قد فعل ما يدل على أن الجزية ليست هدفا يطلبه المسلمون بقدر ما هي وسيلة لإقرار التعايش بينهم وبين غيرهم، فقد قبل أن تسمى الجزية بغير اسمها بعد أن قيل له: يا أمير المؤمنين، إن بني تغلب قوم عرب يأنفون من الجزية، ولهم نكاية في العدو، فلا تعن عدوك عليهم بهم(٦٠).

وإذا كان عقد الذمة يمثل اعترافا بالآخر الموجود تحت سلطان الدولة الإسلامية، فإن عقد الأمان يمثل اعترافا بالآخر الذي يعيش تحت سلطان دولة أخرى.

والمستأمن بكسر الميم: طالب الأمان، وبفتحها: من صار آمنا، وهو غير المسلم من رعايا أي دولة غير إسلامية إذا دخل الدولة الإسلامية بإذن منها، وهذا يقيم في الدولة الإسلامية بمقتضى عقد أمان يشبه في العصر الحاضر التأشيرات التي تمنحها الدولة للأجانب كي يدخلوا أراضيها.

---

(٥٨) انظر: ابن قدامة، المغني ١٠/٦٢٨ – ٦٣٠.
(٥٩) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال ص ٥٣.
(٦٠) انظر: المصدر السابق ص ٣٦ – ٣٧.

والأصل في هذا العقد قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٦١].

" والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب، وطلب من الإمام أو نائبه أمانا؛ أعطي أمانا ما دام مترددا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه"[٦٢].

وقد توسعت الشريعة الإسلامية في إعطاء حق عقد الأمان لسائر المسلمين رجالا كانوا أو نساء، فقد أجاز الرسول ﷺ أمانا منحته السيدة أم هانئ رضي الله عنها لاثنين من أقاربها، وقال لها: " قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ"[٦٣].

بل إن المسلم أو المسلمة إذا أمنا أحدا من غير المسلمين حتى ولو كان من أهل الحرب صار أمانهما ذمة في عنق المسلمين جميعا، وصار غير المسلم بهذا الأمان معصوم الدم والمال.

والأصل في ذلك قول الرسول ﷺ: "ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[٦٤].

قال النووي: "المراد بالذمة هنا: الأمان، ومعناه أن أمان المسلمين للكافر صحيح، فإذا أمنه به أحد المسلمين حرم على غيره التعرض له ما دام في أمان المسلم"[٦٥].

---

(٦١) سورة التوبة: ٦.
(٦٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/٣٣٧.
(٦٣) انظر: ما أخرجه البخاري في الجزية والموادعة، باب أمان النساء وجوارهن ١/٣٠٤ – ٣٠٥ (٣١٧١)
(٦٤) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في الدين ١/٣٩٣ – ٣٩٤(٧٣٠٠) ومسلم في الحج، باب فضل المدينة ٢/٩٤٤ – ٩٩٨(٤٦٧).
(٦٥) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم ٩/٤٩٨.
وننبه هنا إلى أن حق إعطاء الأمان مقيد بإجازة الإمام أو نائبه تبعا لتقديرهما للمصلحة أو الضرر المترتب على هذا الأمان، وهذا ما يفيده قول الرسول ﷺ السابق لأم هانئ " قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ".

كل هذا يدل على إقرار الإسلام بأن الاختلاف بين الناس في الآراء والاتجاهات حقيقة فطرية، وقضاء إلهي أزلي واقع في مختلف الأعصار والأمصار.

وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٦٦].

أي خلقهم مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وآرائهم ومشاعرهم، وما يتبع ذلك من إراداتهم واختيارهم في أعمالهم، ومن ذلك الإيمان، والطاعة والمعصية[٦٧].

والطريق الصحيح لمعالجة تلك الاختلافات هو الاحتكام إلى الحق، وقد ثبت جلياً أن أقــرب طريق للوصول إلى الحق هو الحوار العقلي المجرد عن اتباع الهوى.

ثانياً: لا حدود للحوار مع الآخر:

من الملامح البارزة في منهجية الحوار مع الآخر في القرآن الكريم أنه لا حدود للحوار، لا من ناحية الناس الذين يمكن أن نفتح معهم أبواب الحوار، ولا من ناحية الموضوع الذي يمكن أن يتم الحوار بشأنه، ولا من ناحية توقيته.

فقد طرح القرآن الكريم مسألة وجود الله عز وجل ووحدانيته على طاولة الحوار، فنفى بهذا الطرح أن يكون هناك موضوع – يمكن للعقل الإنساني أن يعمل فيه – خارج دائرة الحوار.

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٦٨] وقال سبحانه: ﴿ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(٦٦) سورة هود: ١١٩.
(٦٧) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار ١٩٤/١٢
(٦٨) سورة الطور: ٣٥.

وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ. أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ. أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ. أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٦٩).

وطرح أيضاً مسألة الحوار حول النبي ﷺ وهل هو نبي يوحى إليه حقا أم مجرد إنسان عادي، وهل هو مجنون أو ساحر أو كاهن؟

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٧٠) وقال عز وجل: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لا تُبْصِرُونَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ. وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(٧١).

وبهذا اعتبر القرآن الكريم الحوار مع الآخر قاعدته الأساسية في الدعوة إلى كل قضاياه، وعلى رأسها القضية الكبرى التي بعث من أجلها هذا الموكب الكريم من الأنبياء والمرسلين – قضية الإيمان – ولم ينأ بأية قضية مهما كانت قدسيتها عن دائرة الحوار.

ومن الدروس البليغة في حوارات القرآن أنه لا يحق لأحد أن ينأى بنفسه عن الحوار مع الآخرين مهما عظم قدره وقلت أقدارهم، فقد تحاور الله عز وجل مع الشيطان

---

(٦٩) سورة النمل: ٥٩ – ٦٤.
(٧٠) سورة سبأ: ٤٦.
(٧١) سورة الحاقة: ٣٨ – ٤٧.

كما تحاور مع الملائكة، كما أنَّ دعوات الرسل عليهم السلام كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم.

وقد أطال القرآن الكريم في عرض صور من هذه الحوارات، ومنها الحوار الذي دار بين موسى وفرعون، والحوار الذي دار بين إبراهيم والملك الذي حاجه في ربه.

ومن هنا استنكر الله عز وجل موقف رفض الحوار والإصرار على عدم ممارسته في قوله: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾[٧٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٧٣].

وقد لاحظت أن الإسلام يفتح أبواب الحوار في كل وقت وحين، فلا حدود للحوار من ناحية التوقيت، ولهذا أمر الرسول ﷺ أصحابه أن لا يتركوا الدعوة إلى الإسلام – وهي صورة بارزة من صور الحوار – حتى وهم على مشارف الحرب مع كل من يعتدي عليهم.

فقد قال لعلى رضي الله عنه بعد أن أعطاه الراية يوم خيبر: " انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[٧٤].

قال الشوكاني: " فيه الترغيب في التسبب لهداية من كان على ضلالة، وأن ذلك خير للإنسان من أجل النعم الواصلة إليه"[٧٥]. وقد التزم ﷺ بهذه القاعدة في كافة المواقع

---

(٧٢) سورة فصلت: ١٥.
(٧٣) سورة فصلت: ١٥.
(٧٤) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب ٤٤٣/٢(٣٧٠١) ومسلم في فضائل الصحابة، باب مناقب علي رضي الله عنه ٤٤/٤(٣٤).
(٧٥) الشوكاني، نيل الأوطار ٢٣٣/٧.

بدليل قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "ما قاتل رسول الله ﷺ قوما حتى يدعوهم"(٧٦).

وعلى نهجه ﷺ سار الأئمة العدول من خلفاء المسلمين، فحينما فتح قتيبة بن مسلم سمرقند دون إنذار أو دعوة؛ رفع أهلها شكواهم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأمر قاضيه أن ينظر هذه القضية، فلما تحقق من صحة الشكوى؛ حكم بخروج المسلمين من المدينة؛ ودعوة أهلها إلى الإسلام أو الصلح أو القتال، فقالوا: نرضى بما كان، ولا نحدث حربا، وتراضوا بذلك(٧٧).

ولابد أن يقترن بالدعوة إلى الإسلام بيان مظاهر العدوان التي مارسها الخصوم واقتضت أن يتصدى المسلمون لها، وهذا من شأنه أن يفتح للحوار أبوابا موصدة ونوافذ مغلقة.

ثالثاً: تحقق المعرفة بالآخر:

المعرفة بواقع الآخر وبخلفيته الفكرية والتاريخية ركن ركين من منهجية الحوار في القرآن الكريم؛ لأن واقعه هو الذي يبصرنا بمشكلاته، وخلفيته الفكرية هي التي تدلنا على كيفية التعامل معه، وتاريخه يبين لنا مدى تمكن هذه الخلفية من سلوكه واستجاباته(٧٨).

والمعرفة بالآخر تقتضي ابتداءً تحديد من هو فعلاً، لأن الكثير من الحوارات التي يُعَنْون لها بالحوار مع الآخر إنما تتم غالباً بغيابه، أو بالوصاية عليه من خلال خصومه(٧٩).

(٧٦) أخرجه أحمد في المسند ٢٣١/١.
(٧٧) انظر : ابن الأثير، الكامل ١٦٣/٤.
(٧٨) أعتقد أن تدريس تاريخ الأديان وتاريخ الفلسفات والأفكار وتاريخ الجماعات الإنسانية المختلفة هو المدخل الأساس لمعرفة الآخر، لأن الجهل عدو الحوار والتعايش والسلام، فكيف بالتجهيل أو التجاهل!؟
(٧٩) غالبًا ما ينزع هؤلاء الخصوم أضعف حجج الآخر الغائب عن الحوار ثم يقومون بنقدها وتقويضها، ثم تقدَّم على أنها هدم لحجج المخالفين من الأساس، وهذا لا يليق بمن كانت لديه بقية من إنصاف.

كما أن الكثير ممن يستدعيهم الجانب الأقوى المهيمن في الحوارات التي يدعو إليها، هم المولعون بحضارته، المسكونون بثقافته، ولو لم يكونوا يسكنون عنده جغرافياً،وفي هذه الحالة لا يؤدي الحوار إلى نتيجة، وبدلاً من أن يكون حلاً لمشكلة التجافي والتباعد وعدم التفاهم، يصبح مشكلة تساهم في ترسيخ التعصب والانغلاق، ويتحول لتسويغ المواجهة والصراع وتأجيجهما.

من هنا رأينا نصوصا قرآنية كثيرة تفيد أن الله عز وجل كان يعرف أنبياءه عليهم السلام على الآخر الذي سيحاورونه، فقد قال لموسى وهارون عليهما السلام عن فرعون: ﴿إِنَّهُ طَغَى. فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٨٠].

وبين لنبيه محمد ﷺ خلفية موقف مشركي قريش منه ومن دعوته فقال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[٨١]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمْ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[٨٢]. كما قال له ﷺ عن أهل الكتاب: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنْ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٨٣].

ولهذا كان من الضروري أن ننطلق في الحوار مع الآخر من خلال معرفتنا به، وليس من خلال ما نريد ونتمنى أن يكون عليه، ولعل هذا هو ما أراده الله عز وجل حين أنكر على نبيه محمد ﷺ تأثره الشديد بسبب عدم إيمان قومه، وهو التأثر الناتج عن عدم

---

(٨٠) سورة طه: ٤٣ – ٤٤.
(٨١) سورة الأنعام: ٣٣.
(٨٢) سورة الأنعام: ١١١.
(٨٣) سورة البقرة: ١٤٥ – ١٤٦.

معرفته بهم على الحقيقة، ورغبته في ألا تخرج هذه المعرفة على النحو الذي يريده ويتمناه، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ. وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ. فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون. أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٨٤].

وحتى تكتمل معرفتنا بالآخر يجب أن ندرك أنه ليس واحدا، سواء في المسائل الدينية أو الإنسانية أو في موقفه منا ومن ديننا، فالله تعالى يقول في أهل الكتاب: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾[٨٥] ويقول: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ﴾[٨٦]. ويقول:﴿ لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾[٨٧].

من هنا يجب أن نسلم بتنوع الآخر وأن يسلم هو أيضا بتنوعنا، فالظلمة والغلاة موجودون على الجانبين، والكارثة الحقيقية ستقع إذا ما ظلت ساحة المواجهة حكرا على هؤلاء، بينما طوق النجاة الحقيقي يتمثل في تقدم المعتدلين من الجانبين لتحمل

---

(٨٤) سورة الشعراء: ٣ – ٨.

(٨٥) سورة آل عمران: ١١٣.
في تصوري أننا في أمس الحاجة لتجاوز مشكلة الخلط بين الغرب وبين الإدارات الغربية سواء أكانت مؤسسات حكم أو هيئات دينية، تماما كما نحتاج إلى الفصل بين أمريكا وبين الإدارات الأمريكية في سياستها ومواقفها من قضايانا المختلفة، فقد لاحظت أننا عندما نتحدث عن أمريكا في مظالمها وفي سياستها نقصد الرئيس الأمريكي وإدارته، مع أننا نعلم أن أمريكا ليست هؤلاء فقط، إنها بالإضافة إلى ذلك شعب فيه قطاعات عريضة لا توافق على سياسات إداراتها، وتملك أن تفعل الكثير من أجلنا إن نجحنا في الوصول إليها عبر قنوات من الحوار الإيجابي المدروس والبناء.

(٨٦) سورة آل عمران: ٧٥.

(٨٧) سورة الممتحنة: ٨– ٩.

مسؤولياتهم، لأن هؤلاء وحدهم هم المؤهلون للحوار، أما من عداهم فقد ثبت أنهم يفسدون ولا يصلحون، ويقطعون ولا يصلون(٨٨).

رابعاً: اعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية:

اعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية(٨٩) ملمح واضح في منهجية الحوار مع الآخر في القرآن الكريم، ويتجلى هذا الأساس في توافر الحرية الفكرية، والإحاطة بقضية الحوار، وتحديد الغاية وتوضيحها، والالتزام بقاعدة إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدّعياً فالدليل، وتجنب الوقوع في التناقض، وتحديد المصطلحات، وبيان ذلك كله على النحو الآتي:

(١) توافر الحرية الفكرية:

لابد أن يمتلك كل طرف من أطراف الحوار الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة، بحيث لا يكون فريسة للإرهاب الفكري والنفسي الذي يشعر معه بانسحاق شخصيته أمام شخصية الطرف الآخر، مما يؤدي إلى ارتباكه وتشتيت أفكاره، وبدلاً من أن يستحضر حججه وبراهينه لمعالجة القضية التي يحاور من أجلها، يجد نفسه مضطراً للدفاع عن شخصيته الفكرية والفكاك بها من أسر الإرهاب الواقع عليها.

وقد لاحظت تعدد النصوص القرآنية التي يلزم الله عز وجل فيها رسوله ﷺ بالتأكيد على أنه بشر يتلقى الوحي باعتباره رسول رب العالمين، ومهمته تبليغ الرسالة عن طريق الحوار والمناظرة دون أن يشعر الناس بتميّزه عنهم، أو إملاء أفكاره عليهم.

(٨٨) انظر: فهمي هويدي، المفترون ص ٢٨٤.

(٨٩) يجب أن نتنبه إلى أن الغربيين يقولون بمرجعية العقل وحاكميته، فلا سلطان على العقل عندهم إلا للعقل، أما العقل في النظرة الإسلامية فيتزامل مع وحي الله عز وجل، وقد عبر الإمام الغزالي عن هذه النظرة بقوله: "فمثال العقل النظر السليم من الآفات والآذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق أن يكون طالب الاهتداء المستغني بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل مكتفيا بنور القرآن مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور". انظر: أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد ص ٢ – ٣.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[٩٠] وقال: ﴿قُلْ ياأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنُ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[٩١] وقال عز وجل: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾[٩٢] وقال أيضاً: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[٩٣].

وبهذا تتفرد الذات الإلهية بخصائص لا يشاركها البشر في شيء منها، ولو كان هذا البشر رسول الله ﷺ فهو يقف عند حدود حدها الله تعالى له، وليس موكلا بالناس يسوقهم إلى الهدى سوقاً، إنما هو مبلغ، وهم موكولون إلى إرادتهم وإلى اختيارهم.

فلا مجال عندئذ للإرهاب الفكري، لأنه ﷺ لا يملك طاقة سحرية تدفعهم إلى الإيمان بما يدعوهم إليه، وإنما لهم الحرية الكاملة ؛ فإن استجابوا له فـذلك هـدف الرسالة وغايتها، وإن لم يستجيبوا فحسبه أنه قام بواجبه تجاه الوحي المنـزل إليه.

وهكذا تنتفي أجواء الهيمنة والتسلط في حوار المسلم مع غيره، أيا كان هذا الغير، لأن هذه الأجواء تحول الحوار مع الآخر إلى حوار مع الذات.

والواقع يشهد بوجود هذا النوع من الحوار في واقعنا المعاصر، فهناك من يتحدث عن الحوار بشكل منغلق، وكأنما ليس في هذه الدنيا إلا طرف واحد يملك الحقيقة ويريد أن يفرضها على الآخرين،مثل هذا الكاتب السويسري الذي اختتم كتابه بنداء وجهه للمسلمين " إننا نطلب منكم يا من تؤكدون بشدة القرابة القوية بين ديننا أن تؤمنوا أن لدى الغرب شيئا أكثر وأفضل من ثقافتكم"[٩٤].

---

(٩٠) سورة الكهف: ١١٠.
(٩١) سورة يونس: ١٠٨.
(٩٢) سورة الشورى: ٤٨.
(٩٣) سورة الغاشية: ٢٢.
(٩٤) انظر: الدكتور محمد عمارة، مجلة الأزهر جزء ١٠، السنة ٧٩، نوفمبر ٢٠٠٦، مقال بعنوان شهادات غربية في إنصاف الإسلام ص ١٦١٦ – ١٦٢١.

ولا تكتمل الحرية الفكرية إلا بمشاركة كافة الأطراف في اختيار موضوعات الحوار، أما أن تأتي هذه الموضوعات من قبل طرف واحد حسب أجندته وأولوياته ومصالحه، فهذا يضع الطرف الآخر في نطاق الفكر الدفاعي، ويترتب على ذلك فقدان الحرية، وهذا يتناقض مع المنهجية العلمية للحوار.

ثم إن وجود بعض الموضوعات المحظورة والمحرم طرحها على ساحات الحوار يحوّل ندوات الحوار ومنتدياته إلى مخافر تدار بعقليات أمنية، وليس علمية موضوعية.

وقد رأينا فيما سبق كيف أن القرآن الكريم لم يضع أي حدود للحوار، لا في من نحاورهم، ولا في موضوعات الحوار، ولا في توقيتاته(٩٥).

(٢) الإحاطة بقضية الحوار:

الإحاطة بقضية الحوار قبل البِدء فيه تضمن عدم بعثرة الأفكار وضياعها بسبب ضبابية الفكرة وعدم وضوحها، وتجعل المحاور يعلم كيف يبدأ الحوار، وكيف ينتهي منه في وضوح وهدوء وقوة، وبهذا لا يتحوّل الحوار إلى نوع من اللجاج.

والقرآن الكريم يعيب على الذين يخوضون غمار الحوار وليس لديهم إحاطة بالموضوع الذي يتحاورون فيه، مما يجعل حوارهم ورفضهم لنتائجه قضية مزاج، وعقدة نفسية تدفعهم إلى اللجاج والإنكار بلا مبرر، الأمر الذي لا يؤدي إلى أية نتيجة لمصلحة الحق، فضلا عن أنه يجلب مقت الله عز وجل والمؤمنين، ويستدعي الطبع على قلوب أصحابه.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٩٦).

---

(٩٥) راجع ما كتبته تحت عنوان لا حدود للحوار.
(٩٦) سورة غافر: ٣٥.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى ءايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٩٧).

وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه للإيذان بأن التكلم في أمر ما لابد من استناده إلى سلطان مبين البتة، وهذا عام لكل مجادل(٩٨).

ولما حاج اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام بلا علم أنكر الله عز وجل عليهم ذلك، وأمرهم برد ما لا علم لهم به إلى الذي يحيط علما بكل الأمور، وهو الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ هأَنتُمْ هَاؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(٩٩).

قال الإمام القرطبي: "في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده"(١٠٠).

وقد نص القرآن الكريم على أن الذي يجادل دون احترام للأسس العلمية ومنها الإحاطة بقضية الحوار متبع لشيطان مريد، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ.كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(١٠١).

وهذا الشيطان إما أن يكون جناً يوسوس له في صدره، أو إنسانا يلقي عليه بأطروحات مغشوشة منمقة ومفتعلة يستهويه بها.

---

(٩٧) سورة غافر: ٥٦.
(٩٨) انظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود ٧/٢٨١.
(٩٩) سورة آل عمران: ٦٦.
(١٠٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤/١٠٨.
(١٠١) سورة الحج: ٣ – ٤.

وقد طلب الله تعالى منا أن نعرض عنه؛ لأنه زاغ وأضاع زمنه، ويبحث عن إضاعة أزمنة الآخرين بعد أن زين له الشيطان حب الدنيا(١٠٢).

قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾(١٠٣).

(٣) تحديد الغاية وتوضيحها:

المنهجية العلمية تستلزم أن تكون الغاية من الحوار واضحة والهدف محدداً، وهذا يتجلى في قول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ يلقنه ما ينبغي أن يقوله لأهل الكتاب: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١٠٤).

ومحاورة إبراهيم الخليل عليه السلام مع قومه تعد أنموذجا في وضوح الغاية من الحوار، فقد تدرج عليه السلام معهم حتى وصل إلى الغاية وصولا لا يبقي حجة لأحد منهم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ. وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾(١٠٥).

---

(١٠٢) انظر: رشدي فكار، لمحات عن منهجية الحوار ص٥٣ – ٥٤.
(١٠٣) سورة الحج: ٢٩ – ٣٠.
(١٠٤) سورة آل عمران: ٦٤.
(١٠٥) سورة الأنعام: ٧٦ – ٨٠.

فهذه الآيات تفيد أن كل المفاهيم التي أوردها إبراهيم عليه السلام قد انصبت على تحديد الغاية من حواره مع قومه، وهي إثبات وحدانية الله تعالى.

وقد سلك في سبيل ذلك كل الوسائل الممكنة لجعلها في غاية الوضوح، ولهذا قال لقومه: أتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال أنه تعالى هداني إلى الحق بعدما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير، وتبين بطلانها تبينا تاما كما شاهدتموه[١٠٦].

(٤) الالتزام بقاعدة إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدّعياً فالدليل:

لاشك أن الحوار الذي يعتمد على الحجة الصحيحة والدليل المنطقي القوي سيؤدي إلى النتائج المرجوة، ومن هنا تأتي أهمية هذه القاعدة التي تستدعي أمرين:

أولهما: تقديم الأدلة المثبتة أو المرجّحة لكل فرضية أو دعوى يقدمها المحاور.

ثانيهما: صحة النقل للنصوص المنقولة والمروية.

وقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة يطالب الله عز وجل المشركين فيها بتقديم براهينهم وأدلتهم على دعاويهم إن كانوا على يقين منها، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[١٠٧]. وقال

وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة ؟ فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يقتضي أنه مقام نظر، واختاره بن جرير. والحق أنه كان مناظرا لقومه، وكيف يجوز أن يكون ناظرا في هذا المقام وهو الذي قال الله في حقه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١- ٥٢] وقال: ﴿إِنَّ إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين﴾ [سورة النحل: ١٢٠].
وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺعن رسول الله ﷺ أنه قال: " كل مولود يولد على الفطرة " فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف يكون إبراهيم الخليل الذي جعله الله أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ناظرا في هذا المقام !؟ بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة والسجية المستقيمة.
ومما يؤيد أنه كان في هذا المقام مناظرا لقومه لا ناظرا قوله تعالى مخبرا عنه حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد أنه قال ﴿أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي﴾ أي أتجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة!؟. انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/١٥٢ – ١٥٣.

(١٠٦) انظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود ٣/١٥٤.

(١٠٧) سورة الأنبياء: ٢٤.

تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١٠٨).

فمثل هذه النصوص تدل على أن المدعي لا بد له من الدليل والبرهان؛ لأن كل قول لا دليل عليه غير ثابت عند الخصم، فلا يعتد به، ولذا قيل: من ادعى شيئا بلا شاهد لا بد أن تبطل دعواه، وذلك من أصدق الدلائل عند البعض على بطلان القول بالتقليد، لكن البعض الآخر يقول: ليس في الآية دليل على منع التقليد، فإن دليل المقلد دليله كما لا يخفى(١٠٩).

وفي إضافة البرهان إلى ضميرهم تهكم بهم؛ لأنه يوهم أن لهم برهانا، وأنى لهم ذلك!؟ وقيل: إن الإضافة لزيادة التبكيت، كأنه قيل نحن نقنع منكم بما تعدونه أنتم برهانا يدل على ذلك وإن لم نعده نحن ولا أحد من ذوي العقول كذلك، ومع هذا أنتم عاجزون عن الاتيان به(١١٠).

(٦) تجنب الوقوع في التناقض:

يجب أن لا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المحاور تعارض واضح، أو أن يكون بعض كلامه ينقض الآخر، فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطاً وأفكاره مردودة.

ومن أوضح الآيات القرآنية التي تشير إلى ذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾(١١١). واختلف في قائلي ذلك القول

(١٠٨) سورة النمل: ٦٤.
(١٠٩) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير ٤/٤، والألوسي، روح المعاني ٣٦٠/١.
(١١٠) انظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود ٢٩٦/٦، والألوسي، روح المعاني ٨/٢٠.
(١١١) سورة الأنعام: ٩١.

– مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ – فقيل: إنهم مشركو قريش، والجمهور على أنهم اليهود ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته ﷺ على سبيل المبالغة، فقيل لهم على سبيل الإلزام: قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى، فالمراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام، ولا سبيل لكم إلى إنكار ذلك، فلم لا تجوزون إنزال القرآن على محمد ﷺ!؟(١١٢).

وحاصل ذلك أنهم أبرزوا إنزال القرآن عليه ﷺ في صورة الممتنعات، فقيل للرسول ﷺ: قل لهم في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ليستضاء به في كشف المشكلات، ويهتدى به من ظلم الشبهات، فجعلتموها قطعا تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم، وتحرفون فيها، وتبدلون وتتأولون، وتقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله ﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ﴾ أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون لا أنتم ولا آباؤكم، وقوله ﴿قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين(١١٣).

(٧) تحديد المصطلحات:

تثير المصطلحات بعض الإشكاليات التي يطول الجدل حولها، ويزيد هذه القضية تعقيدا من يهتمون بالألفاظ دون المضمون، فيسرفون في تغليب اللفظ على حساب المعنى، وهناك من يحملون الألفاظ غير معانيها فيسرفون في تشويه الحقيقة، ولا شك أن كلا الاتجاهين يؤثر سلبيا على لغة الحوار وآلياته، خصوصا إذا انصرف الذهن إلى المصطلحات حسب دلالتها في ثقافة معينة فقط، أو اقتصر التفكير على معنى بعينه دون

(١١٢) انظر: الآلوسي، روح المعاني ٢١٨/٧ –٢١٩.
(١١٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٥٧/٢.

اعتبار باقي المعاني، مع ملاحظة أن لكل لغة عقلها وإطارها الفكري الذي يعطي لألفاظها ومفاهيمها دلالات وظلالا لا يمكن أن تتطابق مع لغة أخرى(١١٤).

من هنا تأتي أهمية الكشف عن معاني المصطلحات المتداولة وضبطها ورسم حدودها بحيث يتم استعمال المصطلح استعمالاً صحيحا يؤدي إلى سلامة مواقفنا تجاهه، ويحول دون استلاب البعض له وتوظيفه توظيفاً غير نزيه، كما يفعل بعض العلمانيين حين يختطفون مصطلحا إسلاميا، ويعملون على إفراغه من مضامينه الشرعية، ثم تعبئته بالمضامين والتوجهات العلمانية المنحرفة، وتسريبه بعد ذلك إلى العقل المسلم الذي ربما يغتر بكون المصطلح شرعياً في أصله، وكما فعل الغربيون حين استلبوا مصطلح الإرهاب وشحنوه بجملة من المفاهيم والتوجهات التي تصب في مصلحتهم وتتناقض مع مصالحنا.

إن مدلول مصطلح الإرهاب في قول الله عز وجل: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(١١٥) يختلف عن مدلولاته في العقل الغربي.

فقد ذكر الله تعالى ما لأجله أمر بإعداد القوة فقال: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم وذلك الخوف يفيد أمورا:

أولها: أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام.

(١١٤) انظر: الدكتور أحمد فؤاد باشا، في التنوير العلمي ص ١٦.
وقد سمعت من أحد العلماء طرفة ذات دلالة خاصة في هذا السياق، مفادها أن ثلاثة فقراء أحدهم فارسي، والثاني تركي، والثالث عربي كانوا يجلسون على قارعة الطريق فتصدق عليهم رجل بمال، فقال الفارسي: نشتري به "اكور" وقال التركي: نشتري به "رستخيس" وقال العربي: نشتري به العنب، واختلفوا حتى كادوا أن يقتتلوا، فمر بهم رجل يعرف اللغات الثلاثة فقال لهم: إنكم تتكلمون عن شيء واحد.

(١١٥) سورة الأنفال: ٦٠.

وثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية

وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعيا لهم إلى الإيمان

ورابعها: أنهم لا يعينون سائر الكفار

وخامسها: أن يصير ذلك سببا لمزيد الزينة في دار الإسلام(١١٦).

فتقييد القصد من إعداد المستطاع من القوة بإرهاب الأعداء دليل على تفضيل جعله سببا لمنع الحرب على جعله سببا لإيقاد نارها، وكأنه تعالى يقول: أعدوا ما تستطيعونه من قوة ليرهبكم الأعداء عسى أن يمتنعوا عن الإقدام على قتالكم، وهذا عين ما يسمى في عرف دول هذه الأيام بالسلام المسلح، بناء على أن الضعف يغري الأقوياء بالتعدي على الضعفاء(١١٧).

وبهذا يختلف مدلول مصطلح الإرهاب في القرآن الكريم عن مدلولاته في العقل الغربي تماما، وهذا يؤكد ضرورة تحديد المصطلحات حتى لا يتلاعب الآخرون بقضايانا.

كما ينبغي التأكيد على ضرورة الفصل بين من يمارس الإرهاب من الناس وبين الدين الذي ينتمي إليه، خصوصا ونحن نرى هذه المسارعة إلى القول بالإرهاب الإسلامي عند وقوع فرد أو فئة من المسلمين في أية ممارسة إرهابية في أي بقعة في العالم، بينما لا يقال إرهاب مسيحي أو يهودي عند وقوع فرد أو فئة من المسيحين أو اليهود – وما أكثر حدوث ذلك – في نفس الممارسة، بل ينسب الإرهاب إلى الفرد أو الفئة، ولا يتعداه أبدا إلى الدين.

مع العلم بأن معظم ما يصدر عن المسلمين ليس إلا رد فعل مشروع لظلم عظيم يتعرضون له، كما هو الشأن في فلسطين وفي غيرها.

---

(١١٦) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير ١٤٨/١٥ – ١٤٩.
(١١٧) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٦٦/١٠.

سادساً: التزام آداب الحوار:

التزام آداب الحوار ملمح واضح في منهجية الحوار مع الآخر في القرآن الكريم، ويتجلى في تفريق القرآن الكريم في التعبير بين المطلوب في الموعظة، والمطلوب في الجدال عند الدعوة إلى الله عز وجل.

ففي الموعظة اكتفى بأن تكون حسنة، أما في الجدال فلابد أن يكون بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[(١١٨)].

وسر ذلك أن الموعظة ترجع عادة إلى الموافقين الذين لا يحتاجون إلا إلى موعظة تذكرهم، بينما يوجه الجدال عادة إلى المخالفين الذين قد يدفع الخلاف معهم إلي شئ من القسوة في التعبير، فكان من الحكمة أن يطلب القرآن اتخاذ أحسن الطرائق وأمثلها للجدال حتى يؤتي أكله.

وإذا كان الحوار أوسع في مدلوله من الجدال باعتبار أنه يفيد معنى الصراع، بينما تتسع كلمة الحوار للصراع ولغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة، فأحرى بالناس أن يلتزموا بالطريقة التي هي أحسن فيه.

وهذه الطريقة تتضمن آدابا يمكن إجمالها في نبذ التعصب للأفكار المسبقة، وعفة اللسان، وتهيئة النفس لقبول نتائج الحوار، ورأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية، وتفصيل هذه الآداب على النحو الآتي:

(١) نبذ التعصب للأفكار المسبقة:

التعصب لوجهة نظر مسبقة، والتمسك بفكرة مع رفض نقضها أو مخالفتها يتباين مع منهجية الحوار في تبادل الأفكار وتداول القضايا المطروحة وسماع الرأي الآخر الذي يمكن أن ينتج فكرة جديدة تقوم من خلالها الأفكار المسبقة أو الموروثة.

---

(١١٨) سورة النحل: ١٢٥.

وهذا لا يعني زوال التنوع ومحو التعددية الثقافية، ولكنه يعني تخلى أطراف الحوار عن كل العوائق التي تحول بينهم وبين النظر في أطروحات الآخر، وتجلية الحقائق الأفضل لدى الأطراف المختلفة، فالحوار مع الآخر لا يتطلب التطابق معه، ولكنه يبدأ من استيعاب مستويات الاختلاف، وتقبلها، والفعل الخلاق في عملية الاختيار والانتقاء[١١٩].

والناظر في القرآن الكريم يجد أن الله تعالى يقرر في غير مواطن الحوار أن الحق كله والهدى جميعه مع رسوله ﷺ ومع من سار على نهجه من المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾[١٢٠] وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾[١٢١].

إلا أنه في مواطن الحوار يوجه رسوله ﷺ صراحة إلى افتراض أنه لا يعلم أي الفريقين على الهدى، فريقه أم الفريق المقابل له؟ وهذا التوجيه يتجلى في موطنين:

أولهما: في سورة القصص يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[١٢٢].

وثانيهما: في سورة سبأ يقول تعالى:﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[١٢٣].

فهذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف، كقولك: الله يعلم أن أحدنا على حق، وأن الآخر على باطل، ولا تعين بالتصريح أحدهما، ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل[١٢٤].

---

(١١٩) انظر: محمد خاتمي، حوار الحضارات ص ٦٥. وينبغي إقصاء ما ينكره الطرف الآخر في إقامة الحجة عليه، فلا يمكن أن يكون الوحي الإلهي خلفية للحوار مع من ينكره، بل يجب علينا تجـريد النظر في رد مذهبه بالأمور العقلية.
(١٢٠) سورة النمل: ٧٩.
(١٢١) سورة الأنعام: ١٦١.
(١٢٢) سورة القصص: ٨٥.
(١٢٣) سورة سبأ: ٢٤ .
(١٢٤) انظر: الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٠/٣.

(٢) عفة اللسان:

لا بأس أن يؤيد الإنسان مذهبه بالحجة والبرهان، ولا بأس أن ينقض أدلة محاوره ويزيفها بما يعتقد أنه مبطل لها، ولكن لا يليق أبدا أن يتنـزل المتحاورون إلى جارح اللفظ، وسيئ العبارة، فهذا دليل العجز والجهل كما يقول المنفلوطي[١٢٥].

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً ممَّنْ دَعَا إِلَى اللَّه وَعَملَ صَالحاً وَقَالَ إِنَّني منْ الْمُسْلمينَ. وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَليٌّ حَميمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظيمٍ﴾[١٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَعبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾[١٢٧]. وقال سبحانه: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذينَ يَدْعُونَ منْ دُونِ اللَّه فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ علْمٍ كَذَلكَ زَيَّنَّا لكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٢٨] ففي ذلك كله وغيره تنبيه على أن الطرف الآخر إذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك أن تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه؛ لأن ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والسفاهة، وذلك لا يليق بالعقلاء الراشدين[١٢٩].

(٣) تهيئة النفس لقبول نتائج الحوار:

كل من يقبل الحوار حول قضية من القضايا مطالب بأن يهيئ نفســه لتقبل النتائج التي يؤول إليها هذا الحوار، لأن رفض النتائج وعدم تقبلها يحول الحوار إلى جدل عقيم، لا يراد منه سوى المماحكة والمزايدات الجدلية المقيتة التي تهدر الوقت والطاقة.

(١٢٥) انظر: مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات ٢٠٦/١ – ٢٠٧.
(١٢٦) سورة فصلت: ٣٣ – ٣٥.
(١٢٧) سورة الفرقان: ٦٣.
(١٢٨) سورة الأنعام: ١٠٨.
(١٢٩) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير ١١٤/١٣.

ومن هنا عاب القرآن الكريم على أولئك الذين يحاورون رســول الله ﷺ وهم غير مستعدين لتقبل نتائج هذا الحوار فقال: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ (١٣٠) وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾(١٣١).

فهم معرضون عن الإيمان لعدم استعدادهم لقبول نتائج الحــوار، إنكــاراً وكفراً وعــناداً، وليس لديهم إلا قول ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ دونما حجة أو برهان على ذلك.

(٤) رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب:

الله وحده هو الذي وسع كرسيه السماوات والأرض، فاتسع علمه للحق كله ظاهره وباطنه، يعلمه علم اليقين، علما ليس فيه إما وإما، أما علمنا نحن البشر فأقصاه معرفة تحتمل البدائل، نرجح فيها بديلا على بديل، فما من فكرة إلا وتحتمل أن يكون نقيضها هو الصواب، ولهذا يجب علينا أن نتقصى جميع الممكنات، ليقوم بينها حوار يثبت أحدها ويقصي سائرها(١٣٢).

وقد حث الله عز وجل رسوله ﷺ على التزام هذا الأدب في الحوار مع المشركين والكافرين فقال: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(١٣٣).

فالمطلوب منه ﷺ أن يقول للطرف الآخر: هناك حقيقة ضائعة بيننا، فتعال نتحاور من أجل اكتشافها، وليتحول الحوار إلى رحلة مشتركة بيننا من أجل الوصول إليها. فأي

---

(١٣٠) سورة فصلت: ٥.
(١٣١) سورة الأنعام: ٢٥.
(١٣٢) انظر: الدكتور زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي ص ٣٠ – ٣١.
(١٣٣) سورة سبأ: ٢٤.

أدب للحوار أكثر إنسانية من هذا الأدب القرآني الذي حوله الرسول ﷺ إلى نموذج عملي!؟.

إن أحد المتناظرين إذا قال للآخر: هذا الذي تقوله خطأ يغضبه غضبا لا يبقى سداد الفكر وحسن الفهم، فيفوت الغرض، وأما إذا قال له: إن أحدنا لا يشك في أنه مخطئ والتمادي في الباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق، فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز، فإن ذلك الخصم يجتهد في النظر ويترك التعصب، وكل من يسمع هذا الكلام المنصف من موال أو مناف يقول لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك(١٣٤).

قال المزني صاحب الشافعي: من حق المحاورة أن يراد بها الله عز وجل، وأن يقبل منها ما تبين، ولا تصح المحاورة ويظهر الحق بين المتحاورين حتى يكونوا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة من الدين والعقل والفهم والإنصاف وإلا فهو مراء ومكابرة(١٣٥).

(٥) الابتعاد عن الأجواء الانفعالية:

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يدعو الآخر إلى الابتعاد عن الأجواء الانفعالية إلى الأجواء الهادئة التي تساعد من فيها على استجلاء الصواب والوصول إلى الحقيقة.

فعندما كان اتهام الرسول ﷺ بالجنون خاضعاً للجو الانفعالي الذي كان يسيطر على التجمع العدائي لخصومه آنذاك، طالبهم الله تعالى بأن يتخذوا من الأجواء الهادئة فرصة للتفكير المتعمق الذي يضع الأمور في نصابها الصحيح، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَـــاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾(١٣٦).

(١٣٤) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير ٢٢٢/٢٥، والألوسي، روح المعاني ١٤٠/٢٢.
(١٣٥) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/٣ – ٢٨٧.
(١٣٦) سورة سبأ: ٤٦.

والمعنى أن تقوموا اثنين اثنين وواحدا واحدا في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا تتلبث لتتبع الحجة في هدوء، ومعلوم أن في الازدحام تهويشا للخاطر، ومنعا من الفكر السديد، وتخليطا للكلام، وقلة في الإنصاف، وفي تقديم ﴿مَثْنَى﴾ إيذان بأنه أوثق وأقرب إلى الاطمئنان، ولأن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحدة[١٣٧].

إنها دعوة إلى القيام لله تعالى بعيداً عن الهوى وعن المصلحة وعن ملابسات الأرض وعن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب، وعن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة، دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة [١٣٨].

(١٣٧) انظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود ١٣٨/٧ – ١٣٩، والألوسي، روح المعاني ١٥٤/٢٢.
(١٣٨) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن ٦٥٩/٦.

خاتمة

يجدر بي وقد انتهيت من هذه الدراسة أن أختم بنتائجها وتوصياتها، وأبـدأ بـأهم النتائج وهي على النحو الآتي:

أولاً: الحوار مع الآخر تكليف إسلامي تتحقق من ورائه غايات نبيلة من أهمها إقامةُ الحجة، ودفعُ الفاسد من القول والرأي، وتنويع الرُّؤى، وتوسيع الأفق لتعزيز مفهوم التسامح، واحترام التنوع، وزيادة تبادل المعرفة حول مختلف مجالات الأنشطة البشرية.

ثانياً: القرآن الكريم يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق، ويجعل من ذلك الحوار بديلا للمقارعة بالحديد والنار، تلك المقارعة التي تسحق فيها الطاقات، وتهدر الإمكانات.

ثالثاً: المسلمون كانوا على مدى تاريخهم دعاة حوار، يحرصون على التعايش مع أصحاب الثقافات المختلفة في أخوة إنسانية بعيدة عن روح التعصب أو فرض الهيمنة، بل إنهم استفادوا من حضارات العالم وثقافاته في جميع مجالات الحياة، طالما لم تشكل هذه الاستفادة خروجاً عن مبادئ الإسلام وقيمه.

رابعاً: الناظر في الحوارات القائمة بين الحضارات في العقود الأخيرة يدرك مـدى رغبة الطرف الغربي في فرض هيمنته على غيره(١٣٩) وقد ازدادت الرغبة فـي هـذه الهيمنة مع ظهور نظرية " صدام الحضارات" التي يـرى صـاحبها أن ثقافـة الإسـلام وحضارته هي مصدر الخطر الأعظم، وعامل التهديد الأول لثقافة الغرب وحضارته.

(١٣٩) ظهر هذا في حديثنا في المبحث الثاني عن جدوى الحوار مع الآخر في نظر المسلمين.

خامساً: منهجية الحوار مع الآخر في القرآن الكريم تتمثل في الاعتراف بالآخر وبأن الاختلاف بين البشر حقيقة فطرية، وأنه لا حدود للحوار، وضرورة تحقق المعرفة بالآخر، واعتماد العقل والالتزام بالمنهجية العلمية، والتزام آداب الحوار.

سادساً: المنهجية العلمية للحوار تتمثل في توافر الحرية الفكرية، والإحاطة بقضية الحوار، وتحديد الغاية وتوضيحها، وتكافؤ الفرص في الحوار بين المتحاورين، والالتزام بقاعدة إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدّعياً فالدليل، وتجنب الوقوع في التناقض، وتحديد المصطلحات.

سابعاً: آداب الحوار تتمثل في نبذ التعصب للأفكار المسبقة، وعفة اللسان، وتهيئة النفس لقبول نتائج الحوار، والتحلي بقاعدة رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية.

وأما التوصيات فمن أهمها ما يأتي:

أولاً: يجب أن ننطلق في الحوار من أسسنا الإسلامية، وألا نقبل أي دعوة إلا إذا عرفنا خلفياتها، وتتبعنا أهدافها، واستشرفنا نتائجها، وحددنا الرسالة التي ينبغي أن نوصلها؛ لأن الحوار الذي يراد منه أن تتخلى الأمة عن هويتها وخصائصها الذاتية وتصوراتها الفكرية نوع من أنواع التبعية، وهو أشد أنواع العدوان، وأعلى مرحلة من مراحل محو الثقافة.

ثانياً: ضرورة السعي إلى تكوين جيل من العلماء والمفكرين الذين يملكون أدوات خوض غمار الحوار مع الآخر على مختلف الأصعدة وفي كافة الاتجاهات.

ثالثاً: ضرورة أن يكون للجامعات العربية ومراكز الدراسات الإسلامية الدور الأكبر في كل الحوارات التي تعقد مع الآخر، وألا يقتصر الأمر على المؤسسات الرسمية التي تقع تحت مؤثرات كثيرة تفقدها الأهلية الكاملة للقيام بهذه المسؤولية الجسيمة.

رابعاً: مد جسور التواصل بين الجامعات ومراكز الدراسات في عالمنـــا الإســـلامي وبين الأقليات المسلمة التي تعيش في ظل الآخر الذي نريد التحاور معه، بحيث نـــستفيد من خبرة هذه الأقليات المتمثلة في معرفتها الأعمق بالآخر، وإلمامها بطبيعـــة الخطـــاب المناسب له.

خامساً: العمل على أن يكون الحوار مع الآخر خياراً اجتماعياً تتبنـــاه المجتمعـــات بصفة عامة، والاتجاه به نحو الجانب الإنساني بحيث لا يبقى دائرا حول القضايا الفكرية والعقدية فقط.

والحمد لله رب العالمين

المراجع

القرآن الكريم

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ١٩٨٥ م بيروت.
- ابن عطية، المحرر الوجيز ، دار الكتب العلمية ١٩٩٣ م بيروت.
- ابن قدامة المقدسي، المغني ، دار الكتاب العربي ١٩٧٢م بيروت.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ١٤٠١ هـ بيروت.
- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- أبو السعود، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث، بيروت ، بدون تاريخ.
- أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد ، مكتبة صبيح، القاهرة، بدون تاريخ.
- أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال ، دار الفكر ١٩٩٨م بيروت.
- أبو يوسف، الخراج ، دار الإصلاح، القاهرة، بدون تاريخ.
- د. أحمد فؤاد باشا، في التنوير العلمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦ م القاهرة.
- د.أحمد العسال: مجلة الرسالة، تصدر عن مركز الإعلام العربي، العدد الأول ديسمبر ٢٠٠١م، مقال.
- الألوسي، روح المعاني ، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.
- البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير ١٩٨٧ م بيروت.
- الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م القاهرة.
- رشدي فكار، لمحات عن منهجية الحوار، مكتبة وهبة ١٩٨٢م القاهرة.
- الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر ١٤١٦ هـ بيروت.
- الزمخشري، الكشاف ، دار إحياء التراث، بيروت، بدون تاريخ.
- د. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ١٩٧٤م القاهرة.
- سالم البهنساوي، الشريعة المفترى عليها، دار الوفاء ١٩٩٥م المنصورة.
- د. سعيد المولى، الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة ، دار المنهل اللبناني ١٩٩٦م بيروت.
- سيد قطب، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧م بيروت.
- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر ١٤٠١ هـ بيروت.
- الشوكاني، نيل الأوطار ، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.
- صحيفة الشرق الأوسط، لندن بتاريخ ١ / ١٠ / ١٩٩٩م.
- د. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٧٧م.
- د. عبد اللطيف العبد، التفكير المنطقي ، ط دار الثقافة العربية ١٩٩٧م.
- عبد المجيد عمراني، مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة، نشر ندوة الثقافة والعلوم ٢٠٠٤م دبي.

- د. عمار جيدل، حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني ، دار الحامد ٢٠٠٣م، الأردن.
- الفخر الرازي، التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ١٤٢١ هـ بيروت.
- فهمي هويدي، المفترون ، دار الشروق ١٩٩٦ م بيروت
- فهمي هويدي، الممانعة أو الطوفان، جريدة الأهرام ١٦ نوفمبر ٢٠٠٤.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ.
- الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل ، دار الكتاب العربي ١٩٨٣ م بيروت.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الثالثة، القاهرة، بدون تاريخ.
- مجمع اللغة العربية، تصدير د. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، ط ١٩٧٩م.
- محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، الهيئة الجامعية للدراسات والنشر ١٩٨٥م بيروت.
- محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس ١٩٨٥ م بيروت.
- محمد خاتمي، حوار الحضارات، ترجمة سرمد الطائي، دار الفكر ٢٠٠٢م بيروت.
- محمد رشيد رضا، تفسير المنار ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون تاريخ.
- مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ.

- د. محمد عمارة، مجلة الأزهر الجزء العاشر، السنة ٧٩، نوفمبر ٢٠٠٦، مقال.
- د. محمد عمارة، مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، دار نهضة مصر ٢٠٠٠ م القاهرة.
- مسلم، صحيح مسلم، دار إحياء التراث ، بيروت ، بدون تاريخ.
- د. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، دار المريخ ١٤٠٨ هـ الرياض.
- النووي، تهذيب الأسماء، دار الفكر ١٩٩٦م بيروت.
- النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث ١٣٩٢ هـ بيروت.
- د. يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة ، دار الشروق ٢٠٠٤م بيروت.
- د. يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مكتبة وهبة ١٩٨٠م القاهرة.
- يوسف كرم، مراد وهبة، يوسف شلالة، المعجم الفلسفي ، ط مكتب يوليو بالقاهرة.